

هل هناك فلسفة إسلامية أم لا؟

الكاتب: سلطان العميري



اختللت مواقف الباحثين كثيراً، فمنهم من تبني القول بأنه ليس هناك فلسفة إسلامية، وأن غاية ما وجد في المجال الإسلامي إنما هو نقل وترجمة حرفية عن الفلسفة اليونانية وغيرها، ومنهم من ذهب إلى إثبات وجود خاص للفلسفة الإسلامية، وإثبات أنها فلسفة نمت وترعرعت في أحضان الثقافة الإسلامية، واختلف أصحاب هذا الموقف في تحديد التسمية المناسبة لها، فمنهم من سماها الفلسفة الإسلامية، ومنهم من اختار أن يسميها الفلسفة العربية.

وقد استند أصحاب الموقف الثاني إلى مستندات عديدة، ومن أقوى مستنداتهم: الارتكاز إلى ما أنتجه الفلاسفة المشهورون في الفكر الإسلامي، ومن أشهرهم: الفارابي، وابن سينا، وابن رشد، بحجة أن ما أنتجه هؤلاء يمثل صورة الفلسفة الإسلامية.

بين فلاسفتين

وحتى نخرج في هذه القضية برؤية ناضجة ومقاربة للحقيقة؛ فإنه لا بد أن نفرق بين مستويين:

الأول: الحديث عن الفلسفة من حيث التصورات والمفاهيم، فلا شك أن هناك فلسفة إسلامية، ولا ريب أن دين الإسلام يتضمن مواقف خاصة به في القضايا الأساسية المكونة لعلم الفلسفة.

الثاني: الحديث عن الفلسفة كعلم مستقل وقائم بنفسه، فعلى هذا المستوى بما هو موجود في التاريخ الإسلامي لا يمثل الفلسفة الإسلامية، ولا يعبر عن مضمونها وروحها، ولا مسارها المعرفي.

فما يُعرف بعلم الفلسفة في التاريخ الإسلامي -وخاصة ما أنتجه الثلاثي الشهير: الفارابي، وابن سينا، وابن رشد- لا يصح جعله ممثلاً لحقيقة الفلسفة الإسلامية، ولا معبراً عن ماهية المخزون الفلسفية في النصوص الشرعية.

ويدل على هذا ثلاثة أدلة، وهي:

- الدليل الأول: إن أولئك النفر تبنوا نظريات كثيرة تخالف أصول الإسلام - وتناقض مبادئه، وقد بلغت العشرات، ومن أشهرها: مسألة قدم العالم، ومسألة إنكار علم الله بالجزئيات، ومسألة إنكار بعث الله للأجساد، ومسألة إنكار الصفات الإلهية، ومسألة إنكار حقيقة النبوة.

وقد سعوا جاهدين في أن يبيشوأن موقفهم ليس مخالفًا لحقيقة ما جاء به الإسلام، ولكن منتهى قولهم - حتى بعد التعديل والتوضيح- هو المناقضة لقطعيات الدين الظاهرة. فإذا كان حال فلسفتهم كذلك، فكيف تكون ممثلة للفلسفة التي جاء بها الإسلام، ومعبرة عن حقيقتها؟!!

- الدليل الثاني: إن أولئك الفلاسفة يعدون الشريعة متأخرة عن الفلسفة في منزلة العلم، ويذهبون إلى أنها ليست طريقاً لبناء المعارف البرهانية، فالفارابي صرخ بأن الشريعة متأخرة عن الفلسفة في منزلة العلوم التي تدعوا إليه، وفي طريقة بناء تصوراتها؛ لأنها تعتمد على التخييل والتقرير، والتشبيه في بيان حقائقها، ولا تعتمد على البرهان، ولأنها تتوجه من حيث الأصل إلى الجمهور بالأساليب التي تناسبهم، ولا تخاطب الخاصة الذين هم الفلاسفة (1).

وأما ابن سينا؛ فإنه صرخ بأن أمر الشرع: «ينبغي أن يعمل فيه بقانون واحد وهو: أن الشرع والممل الآية على لساننبي من الأنبياء يراد بها خطاب الجمهور كافة»، وأكده على أن ما كان متوجهاً إلى الجمهور؛ فإنه يعتمد على الأسلوب الخطابية التشبيهية التقريرية، ولهذا كان «التوحيد تشبيه كله»؟!
(2)

وأما ابن رشد؛ فإن موقفه يتصرف بالغموض والتردد بين الاحتمالات، ولكن الذي يدل عليه مجمل كلامه: أن الفلسفة لا تستمد من الدين، وأن كثيراً من ظواهر نصوص الشريعة لا تلزم الخاصة، وإنما يجب الأخذ بظواهرها على الجمهور وال العامة فقط، وأكده على أن نصوص الشريعة إذا خالفت البرهان -

قضايا الفلسفة؛ فإنه يجب تأويلها وصرفها عن ظواهرها! (3)

ومن خلال التحليل السابق؛ فإنه يظهر بجلاءً أن محصل ما ينتهي إليه موقف

أولئك الفلسفه: أن الشريعة ليست مصدرا من مصادر الفلسفه، ولا هي منبعا من منابعه، وإنما هي قرينة للفلسفه، بل هي متاخرة عنها، وأن الفلسفه صنوا للشريعة، وربما تؤول إذا وقعت المخالفة بينهما.

فإذا كان الأمر كذلك؛ فكيف تكون تلك الفلسفه ممثلة لروح الفلسفه الإسلامية، ومبينة لحققتها، وهم يعدونها أعلى منها مقاما وثبوتا؟!

- الدليل الثالث: تأكيدهم على أنهم متبعون لفلسفه اليونان - وخاصة أرسطو- وعلى أن ما جاء عن أولئك الفلسفه يمثل قمة النضج الفلسفـي وأنصح صوره، وقد صرح الفارابي بأن: «الفلسفـة الموجودة اليـوم عند العرب منقولـة إليـهم من اليـونان». (4)

وأما ابن سينا؛ فإنه يرى أن أرسطـو قد بلـغ درجة من الفلسفـة لم يصلـ إليها أحد قبلـه ولا بعـده وأنـه «يـحق عـلى من بـعـده أـن يـلمـوا شـعـته ويرـموـا ثـلـما يـجـدونـه فيـما بنـاه، ويـفـرـعـوا أـصـولاـ أـعـطاـها» (5)، وقد طـبـقـ ذلكـ بـنـفسـه؛ فـكانـ أـنـضـجـ وـآخـرـ صـورـةـ قـدـمـهاـ منـ الفلـسـفـةـ مـوـاقـفـ فـيـ جـمـلـتهاـ لـماـ جـاءـ عنـ أـرـسـطـوـ مـقـتـفـ فـيـهاـ أـثـرـهـ.

وأما ابن رشد؛ فقد وصلـ إلىـ أـقـبـحـ صـورـةـ يـمـكـنـ أنـ يـصـلـ إـلـيـهاـ المـقـلـدـونـ، فقد بالـغـ فـيـ اـتـبـاعـهـ لـمـقـالـاتـ أـرـسـطـوـ، وـأـنـفـقـ فـيـهاـ عـمـرـهـ، وـبـالـغـ فـيـ وـصـفـ أـسـطـوـ بالـأـوـصـافـ الـعـظـيمـةـ، حـيـثـ يـقـولـ: "ماـ أـعـجـبـ شـائـنـ هـذـاـ الرـجـلـ، وـمـاـ أـشـدـ مـبـاـيـنـةـ فـطـرـتـهـ لـلـفـطـرـ الـإـنـسـانـيـ، حـتـىـ كـأـنـهـ الـذـيـ أـبـرـزـتـهـ الـعـنـيـةـ الـإـلـهـيـةـ؛ لـتـوقـفـنـاـ مـعـشـرـ الـنـاسـ- عـلـىـ وـجـودـ الـكـمـالـ الـأـقـصـىـ فـيـ النـوـعـ الـإـنـسـانـيـ" وـيـرـىـ أـنـهـ لـيـسـ لـلـبـشـرـ مـجـالـ إـلـاـ الـاـخـتـلـافـ فـيـ فـهـمـ آـرـائـهـ فـقـطـ، فـيـقـولـ "أـرـسـطـوـ هوـ أـصـلـ كـلـ فـلـسـفـةـ، وـلـاـ يـمـكـنـ الـاـخـتـلـافـ فـيـ غـيـرـ تـفـسـيرـ أـقـوالـهـ، وـفـيـ النـتـائـجـ التـيـ تـسـتـخـرـجـ مـنـهـاـ" (6).

وعـلـىـ تـأـكـيدـ تـبـعـيـةـ هـؤـلـاءـ وـغـيـرـهـمـ لـلـفـلـسـفـةـ الـيـونـانـيـةـ تـتـابـعـ عـدـدـ مـنـ الـمـهـتـمـيـنـ بـالـشـائـنـ السـلـفـيـ فـيـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـ، وـمـنـ أـبـرـزـ هـؤـلـاءـ اـبـنـ تـيـمـيـةـ، حـيـثـ يـقـولـ: «مـذـهـبـ الـفـلـسـفـةـ الـذـيـ نـصـرـهـ الـفـارـابـيـ وـابـنـ سـيـنـاـ وـأـمـثالـهـماـ، كـالـسـهـرـوـرـيـ الـمـقـتـولـ عـلـىـ الزـنـدـقـةـ، وـكـأـبـيـ بـكـرـ بـنـ الصـائـغـ، وـابـنـ رـشـدـ الـحـفـيدـ هوـ مـذـهـبـ الـمـشـائـيـنـ أـتـبـاعـ أـرـسـطـوـ صـاحـبـ الـمـنـطـقـ، وـهـوـ الـذـيـ يـذـكـرـهـ الـغـزـالـيـ فـيـ كـتـابـ

مقاصد الفلسفه وعليه رد في التهافت» (7)
ويقول الشهريستاني بعد أن سرد قائمة طويلة من المشتغلين بالفلسفه في التاريخ الإسلامي: " وإنما علّامة القوم: أبو علي، الحسين بن عبد الله ابن سينا، قد سلكوا كلهم طریقة أرسطو، في جميع ما ذهب إليه وانفرد به، سوى كلمات يسيرة رأوا فيها رأي أفلاطون والمتقدمين" (8)
ويقول القفطي: «وأقرب الجماعة حالا في تفهم مقاصده -أرسطو- في كلامه الفارابي أبو نصر وابن سينا، فإنهما دققا وحققا، فحملا علمه على الوجه المقصود، وأعدبا منه، لوارده مهله المورود، ووافقاه على شيء من أصوله» (9)

- فالكلام السابق يركد على أن أولئك النفر مقلدون من حيث الأصل لليونان في فلسفتهم ومتبعون لهم في نظرياتهم، فكيف يكونون مع ذلك ممثلين لروح الفلسفه الإسلامية معتبرين عنها؟

الإشارات المرجعية:

1. انظر: الحروف، الفارابي (133-130)
2. الأضحوية، ابن سينا (44)
3. انظر: فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، ابن رشد (109-110)
4. الحروف، الفارابي (159)
5. منطق المشرقيين، ابن سينا
6. انظر في توثيق هذه المقالات: الحد الأرسطي، أصول الفلسفه وآثاره العلمية، للباحث (404)
7. الرد على المنطقين، ابن تيمية (335)
8. الملل والنحل، الشهريستاني (490)
9. إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي (46)

الكلمات المفتاحية:

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.

https://murabet.com